تمظهرات التمرد في الرواية السعودية "رواية ترمي بشرر" لعبده خال أنموذجا.

Manifestations of rebellion in the Saudi novel "**Tarmi BIcharar**" by **Abdo Khal** as a model.

رضوان سليماني1*

المركز الجامعي مرسلي عبد الله . تيبازة(الجزائر)

Reddjelida44@gmail.com

مخبر الممارسات الثقافية والتعليمية والتعلمية في الجزائر

د. نادية سعدوني2

المركز الجامعي مرسلي عبد الله . تيبازة(الجزائر)

Nadiasaadouni85@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2022/03/19 **تاريخ القبول :**2022/05/24 **تاريخ النشر:**2022/06/16

ملخص:

لقد تميز مصطلح التمرد بعدة تعريفات، وفي هذا الصدد اختلفت التوجهات من أجل تحديد مفهوم شامل يوضح خصائص أدب التمرد ونظرا لقيمة هذا المصطلح في الساحة الأدبية سنسلط الضوء عليه بالتحليل والدراسة، فلهذا الموضوع أهمية من خلال اكتشاف سمات أدب التمرد بالإضافة إلى الإطلاع على خصوصية الرواية السعودية، ومن هنا نتساءل، فيا ترى: ما هي سمات أدب التمرد؟ وما هي تمظهرات التمرد في رواية" ترمي بشرر "لعبده خال"؟

و لقد توصلنا إلى نتائج مهمة أبرزها:-معاملة السارد السعودي مثل الشاعر، فحدث تثبيت موقع إبداعي مجازي للسرد ولم يعد الأمر بالخبر المفجع.

رغم أن الرواية السعودية تميزت بفضح المسكوت عنه إلا أنها استقطبت المتابعة والتأمل.

الكلمات المفتاحية: التمرد، الرواية السعودية، أدب التمرد، التمرد الديني، التمرد الاجتماعي.

Abstract:

The term rebellion has been characterized by several definitions, and in this regard, trends have differed in order to define an overall concept that clarifies the characteristics of rebellion literature. Given the value of this term in the literary field, we will shed light on it in Analysis and study Is this question important in discovering the particularity of rebellion literature? What are the manifestations of rebellion in the novel "**Tarmi Bicharar**" by **Abdo Khal.**

We have achieved important results, including:

- Treating the Saudi narrator as a poet, so a creative metaphorical site was set up for the narrative and the case was no longer a tragic news story.

*المؤلف المرسل.

- Although the Saudi novel stands out by exposing the unspoken, it has provoked follow-up and reflection.

Keywords: rebellion, Saudi novel, literature of rebellion, religious rebellion, social rebellion.

1. مقدمة:

إن السعي نحو التحرر من أجل استعادة الحقوق الضائعة من طرف السلطات الحاكمة، هدف يسعى له كل إنسان يرفض الظلم من أجل استرجاع الحقوق المهضومة، من هذا المنطلق ظهر أدب التمرد من خلال تمزيق أقنعة المصطلحات المألوفة في السلوك والتفكير، فهذه النزعة التمردية وكسر القيود والهروب من أسر المواضعات، والاحتجاج على أنظمة سائدة جافة أكل عليها الدهر وشرب و البحث عن مخرج لعدة أزمات، ولهذا كان من الضروري أن نتطرق إلى هذا الموضوع ونسلط الضوء عليه من أجل إسدال الستار عن معناه الحقيقي الغامض، وفي هذا المقال أخذنا مجرى اصطلاحي هو التمرد.

فماذا نعني بالتمرد؟ و ما هي سمات أدب التمرد؟ وفيم تمثلت خصوصية الرواية السعودية؟ وما هي تمظهرات التمرد في رواية "ترمي بشرر" لعبده خال؟

من أبرز أهداف هذا البحث:-توضيح ماهية التمرد و الكشف عن تمظهرات التمرد في رواية "ترمي بشرر"لعبده خال.

أما المنهج الذي اتبعناه في هذا البحث هو المنهج الوصفي الذي يوضح تمظهرات التمرد وخصائصه.

2. ماهية التمرد:

لقد عرف مصطلح التمرد عدة تعريفات فاختلفت الآراء وتباينت، لذلك سنبين في بداية الأمر ماهية هذا المصطلح من جانبيه اللغوي والاصطلاحي.

1.2.التمرد لغة:

" وقد يكون تأويل معنى (التمرد) من الوجهة اللغوية والوجهة الفنية أهدى في تحديد ماهيته، وإبراز ما نريد منه في هذا المجال، لأنه من الوجهة اللغوية يتردد بين معاني الإقبال والعتو و العصيان والخروج، ولأنه من الوجهة الفنية يتردد أيضا في كتابات المفكرين المعاصرين بين معاني الرفض و التململ و الغضب و رؤية الأشياء من زاوية التحدي لها ومعارضة قوانينها الشاملة."[1]

ونفهم من هذا أنه لا يوجد مسافة فاصلة بين معنى التمرد في جانبه اللغوي وجانبه الفني.

" إن معاجم اللغة التي تناولت مادة (مرد) بالتحليل والتحديد تكاد تجمع على دوران هذه المادة في إطار ما أسلفنا من معاني الغضب والتململ والمعارضة والاحتجاج، ففي (تاج لروس) وهو صورة مقاربة

لغيره من معاجم اللغة في هذا الصدد ـ:(مرد) على الأمر(كنصر وكرم) يمرد(مرود/و مرودة) بضمها (و مرادة) بالفتح (فهو مارد ومريد) وتمرد فهو (متمرد أقدم) وفي اللسان أقبل (وعتا) عتوا."[2]

كل المعاني السابقة تتفق على دلالة واحدة وهي الرفض و المعارضة و الاحتجاج.

"ونقل شيخنا عن بمعنى أئمة اللغة مرد كخبث وزنا ومعنى (أو هو) أي المرود تأويله (أن يبلغ الغاية التي يخرج بها من جملة ماعليه ذلك الصنف ج) مراد كما في الأساس و(مردة) محركة جمع مارد(و مرداء) جمع مريد كحنفاء وشيطان مريد ومارد واحد وهو الخبيث المتمرد الشرير وفي حديث رمضان وتصفد فيه مردة الشياطين ومرد على الشر وتمرد عتا وطغى."[3]

من خلال ما سبق يتبين لنا معنى التمرد حسب توثيق معاجم اللغة فهو تجاوز للواقع والاحتجاج في وجه الأعراف و التقاليد.

" إن كلمة rebellion (تمرد) المشتقة من re–bellumاللاتينية تعني أن الحرب عادت، وأن المهزوم سابقا راح يرفع رأسه، أو إن المذعن عندما يرى عدد الثورات التي انقلبت على الثوار، وعدد الانتفاضات الخائبة، والصراعات التي تم احتواؤها، يقول في سره إن عجزه غير محدود، وإن اعتقاده الممكن بقلب الظروف سيكلفه دماء غزيرة وويلات كبرى، فلا يبقى له خيار آخر سوى أن يستبدل الخيبات الأليمة ووجع الأحلام المنكسرة بحلاوة التسليم للقدر، أي بالإذعان المقبول في استدامته. "[4]

بمعنى أن للتمرد ثمن وهو التضحية بالنفس من أجل الانتصار، فالمتمرد الذي يريد تغيير الظروف السيئة فهذا سيكلفه دماء غزيرة، وهنا لا حل أمامه سوى الرضوخ للأمر الواقع وحمل راية القبول من أجل الحفاظ على أمنه وسلامته.

2.2.التمرد اصطلاحا:

"يرى ميرتون(Merton 1957) أن التمرد هو رفض الفرد وسائل المجتمع وأهدافه والبحث عن تبديلها بأهداف ووسائل مغايرة غير مقبولة للمؤسسات الاجتماعية في المجتمع، وهو رفض الثقافة السائدة والبناءات الاجتماعية و البحث عن تبديلها بواحدة جديدة عن طريق الثورة والتمرد."[5]

"كما عرفه أبو هدروس بأنه مجموعة من السلوكيات المعبرة عن رفض المراهق لمحاولات تقييد حريته الفكرية والسلوكية التي تقع ضمن ثلاثة أبعاد هي: حرية الاختيار للسلوك، وتقبل النصائح، وردود الأفعال النفسية التكيفية."[6]

من خلال التعريفين يتبين لنا أن لهما نفس المعنى، فكلاهما يدل على الرفض وعدم قبول وسائل المجتمع ومحاولة إثبات الذات دون تدخل الغير.

3. الفرق بين التمرد والثورة:

"إن الكلمة الشهيرة:«كلا يا مولاي، لسنا أمام تمرد، بل أمام ثورة»، تركز على هذا الفارق الجوهري إنها تعني تماما «اليقين» بمجيء«حكومة جديدة». فحركة التمرد في الأصل، تغير وجهتها بغتة، إنها ليست سوى شهادة مضطربة أما الثورة فتبدأ اعتبارا من الفكرة، إنها بالضبط إدخال الفكرة في التجربة التاريخية، في حين أن التمرد هو فقط الحركة التي تقود من التجربة الفردية إلى الفكرة."[7]

" إن تاريخ حركة التمرد، حتى لو كان تاريخا جماعيا، هو تاريخ ولوج في الوقائع بلا مخرج، واحتجاج مبهم لا يستخدم مذهب ولا أسباب، أما الثورة فهي محاولة لتكييف الفعل على الفكرة و لصياغة العالم في إطار نظري، لهذا السبب يقتل التمرد أناسا، أما الثورة فتهلك أناسا وتهدم مبادئ في نفس الوقت. "[8]

من خلال ما سبق يتبين لنا الفرق بين التمرد و الثورة، فهذه الأخيرة تبدأ من الفكرة ثم إدخالها في التجربة التاريخية أما التمرد فهو عكس ذلك يبدأ من التجربة ثم ينتقل إلى الفكرة، ومنه نفهم ان التمرد يقتل أناسا بينما الثورة فتهلك أناسا وتهدم المبادئ أيضا.

4. خصوصية التمرد في الكتابة الإبداعية:

من خلال مفهوم التمرد لغة واصطلاحا، يبدو لنا أن هذا التمرد له مميزات خاصة في الكتابة الإبداعية ينفرد بها عن بقية المصطلحات الأخرى.

1.4.سمات أدب التمرد:

من سمات هذا الأدب:**"أن كتاب التمرد اليوم لا يفقدون هذا الحس الكوميدي في قلب العنف والشراسة التي يدينون بها في عالمهم، والسمة الثانية في أدب التمرد المعاصر هو التزامه بقيمة خلقية ما، على عكس أدب العبث الذي ينطوي على إنكار كل قيمة خلقية، ففي عالم ينتفى فيه التواصل وتفقد الأشياء معناها وتجف ينابيع اللغة، بل ينابيع الحياة نفسها، تخفت بل تتوارى النبرة الأخلاقية، ويواجه الفرد كونا أخرسا محايدا بل معاديا، بل يجد نفسه في صحراء ميتافيزيقية قاحلة جرداء، أما في عالم التمرد والسخط فإن هناك تأكيد للذات وللمجتمع في الوقت نفسه، وهناك بعثا للقيم الأخلاقية. "**[9]

هناك فرق واضح بين أدب التمرد وأدب العبث، حيث أن هذا الأخير يقوم على إنكار القيم الخلقية أما في أدب التمرد هناك بعثا لهذه القيم الخلقية وتأكيد للذات والمجتمع معا.

وما بين لنا سمات أدب التمرد بوضوح هو قول اورتيجادى جاسيت **"إن دون جوان يتمرد على الأخلاق، لأن الأخلاق كانت قد تمردت من قبل على الحياة، وعندما يسود نظام أخلاقي يؤكد الحيوية المليئة الوافرة باعتبارها القاعدة الأولى، عندئذ فقط سوف يخضع دون جوان."**[10]

من هذا القول نفهم أن دون جوان يتمرد على الأخلاق المزيفة بقناع الخداع والتظاهر بالمثالية، لأن هذه الأخلاق المصطنعة تمردت على الحياة بواسطة المسؤولين عنها بأخذ مناصب عليا وسلب حقوق الغير، فعندما

يسود نظام أخلاقي عادل فهنا تتحقق العدالة الاجتماعية،لأنها قاعدة أساسية وبالتالي سوف يخضع دون جوان ولا يتمرد لأن الأمور عادت إلى نصابها.

إذن فالهدف الذي يسعى إليه أدب التمرد هو تلك"**اللحظة التي سوف تتفق فيها السلطة الإنتاجية للمجتمع مع السلطة الخلاقة للفن، وتتفق فيها إعادة بناء العالم الفني مع إعادة العالم الواقعي، ويقع التوحيد بين الفن المتحرر و التكنولوجيا كلاهما، فهذه القيمة الخلقية تختلف اختلافا جذريا عن القيمة الخلقية المنحطة المحافظة الموروثة التي تتبناها الممارسات التقليدية في النظم التي كانت تعرف بأنها ثورية أو تقدمية إلى آخر هذه المصطلحات والتي أثبت عجزها وزيفها، وسقطت لا لأنها قائمة على أسس نظرية زائفة، بالعكس بل لأنها زيفت هذه الأسس نفسها.** "[11]

بمعنى أن الهدف الأساسي الذي يسعى إليه أدب التمرد، هو ذلك التكامل والارتباط والعلاقة المستمرة الفعالة التي تحدث بين السلطة الإنتاجية للمجتمع مع السلطة الخلاقة للفن، من أجل البناء الفني والواقعي وجعل الفن المتحرر والتكنولوجيا تحت غطاء واحد فيحدث التوازن الحقيقي.

5. خصوصية الرواية السعودية:

" شهدت التجربة الروائية السعودية بعد رحلتها الطويلة، في الفترة الأخيرة توفرا وازدحاما على إنتاجها، و استقطبت المتابعة والتأمل، وقيل الكثير عن جرأتها وفضحها المسكوت عنه، وتبديلها التراتبية الاجتماعية في عالم الروائي، إلا أن الحديث عن منجزها الجمالي محدود وقليل إذ ما قورن بإنتاجها."[12]

رغم أن الرواية السعودية كانت محدودة المنجز الجمالي وفضحت المسكوت وتبديل التراتبية الاجتماعية إلا أنها استقطبت المتابعة والتأمل.

"فإن مجتمعنا السعودي تعلم في بضع سنوات أن تقبل المتغيرات أمر لا خيار فيه، وهذا كشف ثقافي تصل إليه المجتمعات بعد تعرضها المباشر للمتغير وتجريب أساليب التعامل معه، وهذا ما صار فعلا عندنا، وكنا نسمعه في مطلع الألفية من هلع ضد الروايات تراجع حتى صرنا نرى روايات أشد فضحا مع ردود فعل أقل، أو حتى لا ردود فعل،ولسوف نرى هنا أن مجتمعنا في عشر سنوات مر بتحولين ثقافيين مهمين،أحدهما تجرؤ الكتاب والكاتبات على البوح وكسر شروط الرقيب الرسمي والذاتي حتى صار المخجل غير مخجل والممنوع مباحا والمكنون مفضوحا."[13]

يتبن لنا تقبل المجتمع السعودي للمتغيرات التي حدثت في الرواية، حتى صار هذا المجتمع يرى روايات أشد فضحا دون ردة فعل.

" والتحول الثاني هو الأخطر،أن المجتمع برموزه وحراسه صار يسلم بهذا المتغير ويقبل بمفاهيمه و مجازية السرد،مثلما كان القبول قديما بمجازية الشعر، ولم يكن أحد يؤاخذ شاعرا على قول قاله أو صورة رسمها في كلماته، والذي كان يعذر الشاعر ولا يلومه صار أولا يلوم السارد ويحاسبه، ثم ما لبت أن

عامل السارد معاملة الشاعر ورفع اللوم عن الخطابين، وهنا جرى ترسيم موقع إبداعي مجازي للسرد في مجتمعنا ولم يعد الحديث بالخبر المفجع. "[14]

لقد صار المجتمع يسلم بهذا المتغير ويقبل بمفاهيمه و مجازية السرد، مثلما كان القبول قديما بمجازية الشعر.

"أما الرواية السعودية المعاصرة، فهي وإن لم تكن بنفس الكثافة والغزارة في عددها، إلا أنها تعكس بشكل واضح كل اتجاهات الرواية العربية المعاصرة، التي هي بدورها قد عكست ما استقبلته من الآداب الأوروبية."[15]

بمعنى أن الرواية السعودية المعاصرة رغم أنها لم تكن بكمية كبيرة في عددها، فهذا لم يكن عائقا لأنها مثل الرواية العربية المعاصرة تعكس ما تستقبله من الآداب الأوروبية، بمعنى أنها تأثرت بهذه الآداب تأثرا شديدا.

" لم تعد الرواية السعودية المعاصرة على هذا النحو الساذج لا من ناحية المضامين، ولا من ناحية تقنيات الفن الروائي، وإنما كغيرها من الفنون النثرية في الأدب السعودي، نضجت و عكس كل المتغيرات التي حلت بالبلاد:اجتماعيا، واقتصاديا وثقافيا وفكريا، الأمر الذي يستلزم إفراد دراسة خاصة مستقلة عن الرواية السعودية المعاصرة. "[16]

بمعنى أن الرواية السعودية تطورت تطورا ملحوظا لأنها حاولت التعبير عن الواقع السعودي على جميع مستوياته.

6. تمظهرات التمرد في رواية "ترمي بشرر" لعبده خال:

1.6.التمرد على الدين:

إن التمرد على الدين هو مخالفة القيم الأخلاقية وعدم الامتثال لأوامر الله عزوجل و إتباع الشهوات و ملذات الحياة، وهذا ما سيتبن لنا من خلال هذه الرواية.

1.1.6.التمرد الديني للشخصيات:

سيظهر لنا من خلال هذه الرواية تمرد الراوي على الدين وتمرد أسامة أيضا.

. تمرد الراوي:

"خسئت روحي، فانزلقت للإجرام بخطى واثقة، وقفت في غرفة التعذيب، أتأمل جسدي العاري الملطخ بآثار آثامه، جسد خاض عشرات المهمات التعذيبية، و التأديبية المنتصرة والمهزومة، الفاشلة والمتقنة. كنت أقدم على تعذيب ضحيتي بهمة وإتقان من غير أن تثيرني الصرخات أو الاسترحام المنطلق من أفواه الضحايا."[17]

يتبين لنا أن شجاعة وثقة الراوي جعلاه يرتكب الجريمة ويعذب ضحيته بعزيمة وإتقان، بلا رحمة ولا شفقة بدم بارد وبقسوة.

" أقدم على أداء مهمتي من غير إخلال بأي ركن من أركان الخطة التي أعدها السيد، مع حرصي على عدم إنقاص نشوة التشفي المجتاحة لروحه، وهو يراني أوسع فجوات خصومه، فينشرح صدره منتشيا بما أفعل بهم، أنهض من على ضحيتي بعد أن أدك عظامها دكا، ولا يبقى ناهض من الضحية إلا نحيبها، وآخر استرحاماتها، أعرف ضحاياي بصورهم، فقد دأب السيد على منحي نسخة من صورة الضحية بعد إنهاء تعذيبي لها (فوتوغرافية و تسجيلية)."[18]

رغم بشاعة الجريمة فإنه لم يكتفي بذلك، بل تمادى بترك صور وتسجيلات لضحاياه، كأن هذا السيد يحمل أدلة ليتحكم في عبده فيقيده بها ليبقى تحت تصرفاته وأوامره.

. تمرد أسامة:

" أحمل أرشيفا لكل الضحايا، ولم أكن أقدر قيمة هذا الأرشيف، فقد كان بإمكاني المتاجرة به، وجني أرباح وفيرة من خلال عرضها مرة أخرى على الضحية مرفقة بمساومة وضيعة حول المبلغ الذي يرضيني مقابل ستره، هذه الفكرة سربها أسامة ليقنعني بالاستفادة من كل الصور التي أحملها في خزانة غرفتي."[19]

يظهر لنا تنبيه أسامة للراوي بالمتاجرة بصور الضحايا مقابل سترهم،هذه الفكرة جعلت أسامة أشد وضاعة من الراوي لأنه يسانده في تمرده.

" دلفت للبهو الذي يقتعده، كانت الضحية ملقاة على الأرض في حالة يرثى لها يحف بها الحرس ويخضعونها بالضغط على بطنها بأحذيتهم، ارتعدت لذلك المنظر، وتصلبت في مكاني، وخواطر متضاربة تموج في داخلي بلا هوادة، عليك ان تنجز مهمتك الأخيرة، دفع بنا أنا والضحية لغرفة التأديب مخفورين بالحرس، هذه المرة أقف متأملا ساحة التعذيب التي أعرفها جيدا، وكأني أجهلها وحالة من التقزز تتسع دائرتها و تسحبني إلى جوف الظلمة."[20]

يبدو لنا أن بشاعة منظر الضحية جعل الراوي يتصلب في مكانه، فرغم هذا دفع به سيده مع الضحية لغرفة التأديب، فهو لم يستطع رفض أوامر السيد ولم يتمرد عليه لأنه تحت السيطرة.

" اقتصرت وسائل التعذيب في هذه الغرفة على طريقة واحدة انتهجتها منذ أول عملية تعذيب قمت بها، وغدوت مدربا على إجادتها وفي أحيان كثيرة على تمثيل إتقانها في كل حالات التعذيب التي مارستها ضد الآخرين كانت ثمة جسدان وروحان، كل منهما يتعذب بصاحبه كمفتاح وقفل صدئ وبينهما لزوجة تطري التصلب وتنهي انغلاق القفل بهزيمة منكرة ليبقى المفتاح معلقا منتظرا مهمة أخرى ليؤدي دوره."[21]

يتبين لنا اعتراف الراوي بتمرده على الدين و الأخلاق وهو يذكر وسائل التعذيب و الأفعال السيئة التي كان يقوم بها.

-تمرد الراوي على سيده:

" كان قراري بقتله قد نضج تماما، لقد مضى زمن طويل وأنا أحمل جثته في مخيلتي ولا أعرف كيف أواريها، فحينما آوي إلى فراشي أستجلب النوم بخيالات مقتله، وفي كل ليلة أقتله بطريقة مغايرة عن الليلة السابقة... آه كم هيا المسافة بعيدة بين الخيال والواقع.."[22]

إن حوار الراوي مع نفسه حول موضوع قتل سيده والتمرد على أوامره جعل منه كلما يأوي إلى فراشه يتخيل كيف يقتله، لكنه تيقن بأنه مجرد خيال ويتحسر على أن هذا الخيال لا يتحقق لأنه بعيد عن الواقع.

" اليوم أنهيت أعسر عملية تعذيب قمت بها خلال عملي داخل القصر؛ كنت قد أقلعت عن أداء هذا الدور، إلا أن السيد رغب أن أنهي وظيفتي بهذه العملية الأخيرة (كما قال، وإن كنت أشك في كل ما يقول)، والتي سماها لعبة الاعتزال، فدعا لها القريبين خاصة الخاصة، ليشاهدوا آخر العمليات القذرة، ولم يكن أمامي من خيار، فالتراجع يعني أن أتحول إلى ضحية، أو أن أقاد للسجن بتهمة الشروع في القتل، ليس مهما التهمة فهو قادر على تلفيق أي تهمة توصلني لساحة القصاص وبأدلة دامغة وربما باعتراف شخصي."[23]

إن عدم ثقة الراوي في قول سيده حول لعبة الاعتزال جعله مرتبكا، فلم يجد المفر للهروب من قيوده لأن التراجع يجعله ضحية، أما إن حاول قتل سيده فسيدخل السجن.

" أن تعقد صفقة مع الشيطان فكل اليقين أن الحياة تعد لك فخا قميئا، ولن تستطيع أن تنجو منه، فاللعبة القذرة تنهي حرصك على إبقاء ثيابك ناصعة، حملت ملابسي بين يدي، تاركا فريستي تلملم عظامها، وتكفكف دموعها قبل أن تستوعب ما حدث."[24]

إن اعتراف الراوي بقذارة اللعبة وتيقنه بفخ الحياة، فرغم هذا كان يترك خلفه فريسته تتألم.

" أيقنت أني لم أعد قادرا على مواصلة إتيان هذه الآثام العظيمة، كنت خائفا من التصريح بهذا اليقين كي لا أوضع في خانة المجلود، وقف في مواجهتي تماما مهنئا إياي على أداء المهمة بنجاح: لازلت قادرا على العطاء كما عهدتك!!

.....

ربما أتراجع عن قرار اعتزالك!

بصقت أسفل قامتي في غفلة منه، إلا أن بصفاته التي وجهها للضحية كانت أكثر كثافة واحتقار! أغثني يا الله!"[25]

إن إدراك الراوي لحقيقة هي انه لم يعد قادرا على مواصلة هذا التمرد على الدين، لكنه كان خائفا ولا يستطيع رفض أوامر سيده، والأغرب من هذا أن هذا السيد ربما يتراجع عن اعتزال الراوي.

"منذ تلك الليلة غدوت حبيس صوته، يأمر فأطيع.

له غضبة طفل.

هكذا وصفه العم محمد الركابي، ولم أكن موقنا من دقة هذا الوصف حينما سمعته.

لا أحد يعرفه كما يعرفه الأقربون، له أمزجة بعدد بزاته، يستحضر كل سمة وفق الموقف الذي هو فيه، ولا أحد يجرؤ على تنبيهه أنه يرتدي البزة الخطأ"[26]

إن الهيبة التي يتميز بها السيد جعل الجميع يخاف أن ينتقده حتى في لباسه، فبقي الراوي ينفذ أوامر سيده رغما عنه.

" صورته المتماسكة التضاريس احتلت مكانا بارزا عبر الجريدة الأكثر ذيوعا فبدا كما لو كان ملاكا هبط ليمسح بجناحيه عذابات أهل الارض، ابتسامته تفلق القلوب الصلدة، وتكذب أي نية خبيثة يمكن أن تساورك لتشي به عندك، في كل الصور التي تنشر له في الصحف والمجلات يبدو ودودا وديعا له سمات الصالحين"[27]

يبدو أن الشكل الخارجي لهذا السيد وصورته على الجريدة، كل هذا كان قناع مزيف من السيد ليخفي بشاعة وحقيقة صفاته الداخلية التي لا تظهر.

2.6.التمرد على المجتمع:

"في علم الاجتماع التمرد هو محاولة فردية لتغيير الواقع الاجتماعي، غير أن هذه المحاولة و بسبب فرديتها، محكوم عليها بالفشل، ذلك أن تغيير الواقع يحتاج إلى ثورة اجتماعية أو إلى مدى تاريخي."[28]

بمعنى أن للفرد نزعة تمردية ضد الظروف الاجتماعية القاهرة من أجل تحقيق الرفاهية، و لكن الفرد وحده عاجز عن تحقيق هذا الهدف الذي يسعى إليه لأنه بحاجة إلى تضافر عدة عوامل من أجل تغيير هذا الواقع.

" عنوان كبير يعتلي صورته ممجدا تبرعه بعشرة ملايين لذوي الاحتياجات الخاصة، وفي صورة اخرى ظهر محدقا في الكاميرا ومطلقا ابتسامته الآسرة، وهو يسلم الشيك لرئيس جمعية المعوقين."[29]

يتبين لنا تظاهر السيد وتمثيله دور الإنسان الطيب المساعد للناس، فكل هذا عبارة عن خداع وتمرد على المجتمع ليجعله متأثرا به ولا يشك في شخصيته، ولكن يجب الحذر منه.

" لم يكن ليتأخر عن أداء هذا الدور وإلا اكتسب عاهة مضاعفة، لا يوجد مخدوم داخل القصر دون إعاقة، كل منهم يحمل عاهته الخاصة به، والزائر يحسن الظن بصاحب القصر كونه جمع ذوي الإعاقات ليكفيهم ذل السؤال من خلال أعمال شريفة، وإن كانت تبدو متواضعة."[30]

لو لم يقم السيد بهذا الدور لفشل في تمرده وكشف أمره و لكن خداعه للمجتمع بمساعدة الناس جعل كل زائر يحسن الظن به.

"قادر على الوصول لكل المتع، وكلما اجتاز متعة بحث عن سواها، هذا السير الآمن في الدروب الزلقة زوده بمتعة التلهي، يبحث عن نشوته بأي طريقة كانت، غدا ماهرا في التشويه، فامتلأ قصره بأنواع

من الدمى البشرية، وبسبب عبثه المستمر بها لم يبق داخل القصر خلقة سوية، هناك العوراء والعرجاء و المخصية والمحروقة والمنتوفة والمصدومة و المعلولة، ومن لم يصب العطب جسدها قرضتها الوساوس وشتى الامراض النفسية، كلها كائنات شوهاء، وفي كل يوم له سلوى جديدة! في يوم قديم (غير رحيم) كنت دميته الجديدة."(31)

رغم السلوكات السيئة لهذا السيد، كان قادر على الوصول إلى كل المتع و قناعه المزيف المصطنع من خلال أدواره في خداع الناس، جعله يسير في أمان متزودا بمتعة التلهي.

"الدمى وجدت لكي يلعب بها، ومن ذا الذي لا يلعب بدماه، لهذا لما أكثرت كثيرا لآثار التشوهات التي تركتها مخالبه في أحشائي، قادتني لهذا الاستسلام حكمة عظيمة تعلمتها عندما كنت صغيرا ولم أبرح أتذكرها. سنوات طويلة مضت على ذلك الدرس أسترجعه في كل حين كي لا أبتئس من كل التصدعات التي أحدثتها في حياتي، وحياة الآخرين."(32)

عدم اكتراث الراوي لآثار التشوهات التي تركها السيد، لأن اللعب وجدت للعب بها، فهو يسترجع ذكرياته حول اللعب بالدمى عندما كان صغيرا.

"الدين هذا النفق الذي يسلكه الجميع لتبرير الغايات النبيلة والحقيرة، يسلك طريقه الجميع للوصول إلى مقر المصنع الخلفي حيث تفصل وتطرز الملبوسات لارتدائها في المناسبات التي تحتاج إلى الوجوه الصقيلة و العابسة. ولكل تصميم طريقة لبس و حركة. كل فكر هو فخ لمن ظل عن إيمانه الخاص، وتنشأ الحفر في مناطق منخفضة عن سطح الحياة، ومع امتلائها لاتصل إلى السطح بتاتا، تبقى مغمورة كفخ أو ماء آسن."(33)

تظاهر الجميع بالسلوكات الحسنة من خلال الدين ولكن من أجل تحقيق أهدافهم الحقيرة، وكل هذا مجرد فخ لهم لأنهم ابتعدوا عن إيمانهم الخاص.

"لي خمسون عاما (تزيد قليلا) متورطا في هذه الأيام المتعاقبة، وكلما ابتعدت عن المشهد اكتشفت أن الحياة يصنعها:المعتوهون، والمرتشون، واللصوص، والوصوليون، والقوادون، والزناة، واللوطيون،وطالبوا السلطة و حائكوا المؤامرات.هم من يقومون بدور الدفع مثلهم مثل المصلحين تماما."(34)

اكتشاف الراوي أن الحياة يصنعها أصحاب السلوكات السيئة.

3.6.التمرد على الدين:

" هو الخروج على ثوابت الدين والحدود و الأحكام الشرعية، و إهمال محكم التنزيل و إتباع مناهج العقل و التأويل بغير هدى و لا تمسك بالدليل."(35)

بمعنى مخالفة قوانين الدين وتدني المستوى الأخلاقي وإتباع الاتجاه العقلي و التأويل بعيدا عن الحجج والأدلة الموجودة في القران الكريم.

" وفي القصر تتواجد تلك العجينة من فاسدي الذمة يقيمون أضلاع المثلث ليليا، فتنهش الضحية، ويسيل الدم، وتبقى الشهوة متجددة متأججة، متعطشة للدم، فهي الداء الذي يتوالد، ولا يقتل، هي المغناطيس الذي يجذبنا للنهاية، ويجذب الحياة لأن تواصل تجددها. لا أحد ينجو من سمة فساد ما، كلنا معفر بدناسة يغطيها جيدا إلا أولئك السفلة يسيرون ملطخين بقاذوراتهم من غير غطاء، أو تورية، وأنا منهم."(36)

كل من هو موجود في القصر لا ينجو من صفات الفساد، فهناك من يغطي هذه الدناسة وبقية السفلة من غير غطاء يعلنون تمردهم.

" أجول ببصري بين نساء القصر بحثا عن تهاني علني أجدها فلا يمكن أن تكون هي التقية الوحيدة التي تنقض كل براهيني على أن الإنسان كائن قذر بفطرته.

ذات مساء حين دلفت إلى مخدع تهاني كنت أشم جيدها، فهمست في أذني:

ـ لن تهرب مني، سألحق بك أينما كنت.

أظنها برت بوعودها، ولحقت بي لداخل القصر، وأظنها ترقبني بمكان خفي، تلاحقني ببصرها مفتشة عن المرأة التي اصطفيتها بدلا منها. "(37)

تمرد تهاني على الدين وملاحقتها للراوي، داخل القصر، مما جعله يظن أنها تراقبه من مكان لا يراه.

" نساء كثمار الارض كل واحدة منهن لها تربتها التي تتشبث بها، ولها مذاقها المثير لشهوة القضم، تغيب عنا في فصول، وتظهر في فصول، نحن ننتظر موعد ظهورها. في الصيف كالشتاء ثمة تقليب يحدث في الارض، وفي الروح، والرغبة."(38)

الراوي يتفنن في الوصف والتشبيه، عندما يشبه النساء بالثمار فهو جعل للنساء مذاق حلو يستمتع به مثل ذوق الفواكه وهنا تمرد على الأخلاق وإعلان صريح على تمرده، ولكن أليس هذا تشجيع على التمرد والدعوة إلى الفسق والدعارة؟

" لم أستطع التخلص من ذكرى تهاني، تأتي في الموسم كفاكهة لا تخلف موعدها، لأتذكر أول طعم لذيذ تسلل إلى جوفي. فورة غضب أسامة الدائمة تجعلني دائما أمرر مذاقها عبر حنجرتي، ذكراها غدت مذاقا مرا، أبحث عن وجودها لتصحيح هذه الذكرى مع قدوم أي امرأة للقصر، أخشى أن تكون هي،امتلاء القصر بالنساء ذوات المآسي المختلفة يجعلني متيقنا أنها موجودة في مكان ما منه، في أحيان أجزم أنها جاءت، وخرجت، رأتني منبوذا كما كنت منبوذا في الحي فلم تصطفيني هذه المرة."(39)

استرجاع الراوي لذكريات تهاني ومواصلة تمرده، وغضب أسامة جعله يبحث عن وجودها لتصحيح الذكرى مع امرأة أخرى تأتي للقصر.

" أمارس أحلام اليقظة كلما طرأت على بالي، ألمحها تدخل إلى البهو تخلع عباءتها، وتدعوني (في حضرة سيد القصر)لأن أقبلها فتضمني لصدرها و تبكي، تنتفض، وتفر من بين أحضاني لتوزع جسدها على الراغبين في المتعة، تمنحهم خلاصة أنوثتها، وتبصق في وجهي، و تمضي حيث تلملم حزنها كما يليق بامرأة عاشقة فقدت حبيبا لم يكن جديرا بخفقة قلب صادقة."(40)

انتقام تهاني من الراوي من خلال توزيع جسدها على الراغبين في المتعة فهي تتمرد على الدين وتتمادى في ذلك.

7. خاتمة:

من خلال هذا البحث توصلنا إلى النتائج التالية:

- التمرد طريق لكسر قيود المجتمع ومحاولة للحفاظ على الحرية الشخصية.
- التمرد ضروري للمجتمعات من أجل غد أفضل، لكن بدون التعدي على حدود الله وأوامره .
- من التعريف اللغوي و الاصطلاحي للتمرد نرى أن هناك تمرد اجتماعي وسياسي و نفسي و فلسفي وديني.
- عبده خال كان جريء في كتاباته حيث فضح المسكوت عنه وتمادى في هذا الوصف، وبذلك رفع الستار عن كل ما هو ممنوع ومحظور.
- للتمرد أهمية كبيرة في إثبات الذات وتحقيق وجودها الفعال.
- المنجز الجمالي للرواية السعودية محدود وقليل مقارنة بإنتاجها الكبير.
- رغم تميز الرواية السعودية بفضح المسكوت عنه و تبديل التراتبية الاجتماعية في عالم الروائي، إلا أنها استقطبت المتابعة والتأمل وشهدت ازدحاما على إنتاجها.
- تجرؤ الكتاب السعوديون والكاتبات السعوديات على البوح وكسر شروط الرقيب الرسمي و الذاتي حتى صار كل ممنوع مباحا.
- أصبح السارد السعودي يعامل مثل الشاعر فيرفع اللوم عن الخطابين وهنا حدث تثبيت موقع إبداعي مجازي للسرد ولم يعد الحديث بالخبر المفجع.
- تأثر الرواية السعودية بالآداب الأوروبية هو سبب رئيسي أدى بالكتاب إلى الكتابة بجرأة وفضح المسكوت عنه.
- ومن اقتراحاتنا وتوصياتنا في هذا البحث، أن هناك تمرد مقبول عندما يكون من أجل إصلاح المجتمع وتحسين ظروفه، ولكن على الإنسان أن لا يتمرد على الدين لأنه يعتبر تدميرا للقيم الإنسانية.

8. الهوامش:

[1]محمد أحمد العزب، ظواهر التمرد في الشعر العربي المعاصر، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في الأدب والنقد، إشراف الأستاذ الدكتور أحمد الشرباص، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر بأسيوط، 1972، ص6.

[2]المرجع نفسه، ص6.

[3]المرجع نفسه، ص6-7.

[4]فريديريك غرو، العصيان من التبعية إلى التمرد، دار الساقي بيروت، ط1، 2019، ص 45-46.

[5]حليمة صحراوي، التمرد المدرسي لدى التلاميذ المقبلين على اجتياز شهادة البكالوريا، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الماستر في علم النفس المدرسي، إشراف الأستاذ الدكتور طارق بوحفص، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الدكتور الطاهر مولاي سعيدة، 2018/2017، ص19.

[6]المرجع نفسه، ص20.

[7]ألبير كامو، الإنسان المتمرد، تر:رضا نهاد، منشورات عويدات، بيروت، ط3، 1983، ص136.

[8]المرجع نفسه، ص136.

[9]إدوارد الخراط، من الصمت إلى التمرد، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، د.ط،د.س، ص213-214.

[10]المرجع نفسه، ص215.

[11]المرجع نفسه، ص218.

[12]عالي القرشي، تحولات الرواية في المملكة العربية السعودية، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ط1، 2013، ص67.

[13]طامي بن محمد السميري، الرواية السعودية حوارات وأسئلة و إشكالات، دار الكفاح للنشر و التوزيع، الرياض، ط1، 2009، ص8.

[14]المرجع نفسه، ص9.

[15]محمد جلاء إدريس، الأدب السعودي الحديث، مكتبة الرشد، السعودية، ط1، 2006، ص 423.

[16]المرجع نفسه، ص423.

[17]عبده خال، ترمي بشرر، منشورات الجمل، بغداد، ط1، 2009، ص7.

[18]المصدر نفسه، ص7.

[19]المصدر نفسه، ص 7.

[20]المصدر نفسه، ص9-10.

[21]المصدر نفسه، ص 10.

[22]المصدر نفسه، ص 12.

[23]المصدر نفسه، ص12.

[24]المصدر نفسه، ص 12.

[25]المصدر نفسه، ص 12-13.

[26]المصدر نفسه، ص 14.

[27]المصدر نفسه، ص 14.

[28]نزيه أبو نضال، تمرد الأنثى في رواية المرأة العربية و بيبليوغرافيا الرواية النسوية العربية، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، ط1، 2004، ص25.

[29]عبده خال، ترمي بشرر، ص14.

[30]المصدر نفسه، ص 15.

[31]المصدر نفسه، ص 16.

(32)المصدر نفسه، ص 16.

(33)المصدر نفسه، ص 19.

(34)المصدر نفسه، ص 19-20.

(35)حليمة صحراوي، التمرد المدرسي لدى التلاميذ المقبلين على اجتياز شهادة البكالوريا، ص19.

(36)اعبده خال، ترمي بشرر، ص20.

(37)المصدر نفسه، ص 20.

(38)المصدر نفسه، ص20،21.

(39)المصدر نفسه، ص21.

(40)المصدر نفسه، ص21.

9. قائمة المصادر والمراجع:

المصادر:

- عبده خال، ترمي بشرر،(منشورات الجمل، بغداد، ط1)، 2009.

المراجع باللغة العربية:

- إدوار الخراط، من الصمت إلى التمرد، (الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة)،د.ط، د.س.
- طامي بن محمد السميري، الرواية السعودية حوارات وأسئلة وإشكالات، (دار الكفاح للنشر والتوزيع،الرياض، ط1)، 2009.
- عالي القرشي، تحولات الرواية في المملكة العربية السعودية، (مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ط1)، 2013.
- محمد جلاء إدريس، الأدب السعودي الحديث، (مكتبة الرشد، السعودية، ط1)، 2006.
- نزيه أبو نضال، تمرد الأنثى في رواية المرأة العربية و بيبليوغرافيا الرواية النسوية العربية،(المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، ط1)، 2004.

المراجع المترجمة:

–ألبير كامو، الإنسان المتمرد، تر: رضا نهاد،(منشورات عويدات، بيروت، ط3)، 1983.

-فريديريك غرو، العصيان من التبعية إلى التمرد، تر: جمال شحيد، (دار الساقي، بيروت، ط1)، 2019.

الرسائل العلمية:

–محمد أحمد العزب، ظواهر التمرد في الشعر العربي المعاصر، رسالة دكتوراه في الأدب و النقد، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، أسيوط، 1972.

-حليمة صحراوي، التمرد المدرسي لدى التلاميذ المقبلين على اجتياز شهادة البكالوريا، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الماستر في علم النفس المدرسي، إشراف الأستاذ الدكتور طارق بوحفص، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الطاهر مولاي، سعيدة، 2017-2018.